الفصل الرابع
تشبيهات ابن وكيع والأغراض الشعرية

قد تبدو مناقشة الأغراض الشعرية فى إطار تشبيهات ابن وكيع خروجًا على منهج الدراسة الذى يتوخى إلى التشبيه من زاوية أسلوبه وذلك لأن الأغراض الشعرية من غزل ومدح.. إنما هى موضوع ليس من الأسلوبية فى شىء لكن ما وصلنا من شعر ابن وكيع ما طال منه أو قصر نجد كل بيت فيه مشتملا على تشبيه أو أكثر فصار المعنى محمولا على كاهل التشبيه، يؤديه على الدوام فتداخلت بذلك الأغراض والتشبيه فيما وصلنا من شعر هذا الشاعر مما أوجب دراسة الأغراض الشعرية عند هذا الشاعر.

(أ) الغزل:

شغل هذا الغرض مساحة كبيرة من شعرنا العربى عمومًا كما شغل مساحة كبيرة من شعر ابن وكيع تبلغ سبعة وعشرين تشبيهًا بنسبة ١٧٪ ولا يغلب على تشبيهات ابن وكيع فى مجال الغزل الجانب الحسى إلا أنه يتناول محاسن الوجه عامة والعينين خاصة وقلما يصف مفاتن المرأة الحسية أو الجسدية الأخرى ولذلك نجده يقول مثلا:

أرجى دنو الوصل من بعد بعده ... كما قد ترجى فى الجدوب السحائب
وأكثر فى الهجر العتاب كأننى ... لدهرى من ظلم الكرام أعاتب

ويقول:

طربت نفسى إليه ... وإلى طيب اقترابه
طرب الشيخ إذ ذكـ ... ـر أيام شبابه

ويقول: ظبى سلوى عنه مثل جوده خياله أكذب من موعوده

ويقول:

تحكم فى لبى وفى اصطبارى نظير حكم الدهر فى الأحرار

ويقول: **وكل قلب إليه منصرف كأنه من جميعها خلقا**

ومن العجيب أنه يشبه أمرًا حسيًا يتناول مفاتن المرأة بأمر بمعنوى كقوله:

أما وخصر ضعفه كصبرى له ووجه حسنه كشعرى

ومن الواضح أنه يركز على الوجه ومحاسنه ولا ينساه أبدًا فيقول عن العين:

من مقلة كالصارم البتار ألحاظها أمضى من المقدار

تحكم فى لبى وفى اصطبارى نظير حكم الدهر فى الأحرار

ويقول عن العين كذلك:

يسعى بها جؤذر غرير فى لحظ أجفانه احورار

ويقول كذلك:

له سهام من لحاظ صيب كأنما يرمين عن قوس القدر

لأنه كالحور فى تصويره والحور لا يسكنها الله سقر

إن قلت يحكى قمرًا عنفنى عقل له أعدمه عند القمر

ويقسم بالوجه قائلا:

لا ووجه لك يبدى صفحة السيف الصقيل

ويقول:

زارنى فى دجى الظلام البهيم قمر بات مؤنسى ونديمى
بحديث كأنه عودة الصحـ ـة فى الجسم بعد يأس السقيم

وعن الشعر يقول:

وأنت فى دجى الليل تبدى لنا نظير دجى الليل من شعرها

وعن الوجه يقول:

وأبدت لنا البدر من وجهها وأبدت لنا الشمس من خمرها
وأضحكت الكأس من لؤلؤ حكى لؤلؤ البشر من ثغرها

ويربط ابن وكيع الغزل بذكره للخمر فى بعض المواضع كقوله:

ريق إذا ما اردت من شربه ريا ثنانى الرى ظمآنا
كالخمر أروى ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا

وهناك ثلاث تشبيهات ثنائية الأركان (البليغة) فى بيت واحد من إحدى مقطوعاته يقول فيها:

جوهرى الأوصاف يقصر عنه كل وصف لكل ذهن دقيق
شارب من زبرجد وثنايا لؤلؤ فوقها فم من عقيق

وبذلك يتضح لنا أن تعرضه لمواطن الفتنة والإثارة فى جسد المرأة يكاد ينعدم وكثيراً ما يشبه محاسن الوجه إما بشىء من الطبيعة العلوية كالشمس والقمر ويشبه الشعر بالليل أو بشىء معنوى أو يربط محاسن الوجه ومحاسن الخمر فى مخيلته فنراه يقول مثلا:

حملت كفه إلى شفتيه كأسه والظلام مرخى الإزار

فالتقى لؤلؤًا حباب وثغر وعقيقان من فم وعقار

فهو يتغزل فى الخمر كما يتغزل فى المرأة ويجعلها (أى الخمر) معادل موضوعى للمرأة فالحباب لؤلؤ وثنايا ثغر المحبوبة لؤلؤ وكذلك الفم عقيق والخمر عقيق.

كما يشبه ريق المحبوبة بالخمر فى قوله:

ريق إذا ما ازددت من شربه ريا ثنانى الرى ظمآنا

كالخمر أروى ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا

وأحيانًا يشبه محاسن الوجه بشىء من معطيات الطبيعة الحية مما حوله فنجده يقول:

كأن صدغا له تراه وهو على خده مدار

ميدان آس بدا جنيًا ألهب فى جانبيه نار

وأحيانًا يربط محاسن وجه محبوبه بعلم دينى مقدس بارز كالكعبة المشرفة فيقول:

بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

ونخرج مما سبق بنتيجة مؤداها أن الشاعر يميل إلى الغزل العفيف ولا يركن إلى الغزل الحسى إلا نادرًا وهذا يدعم قولنا بأن غلامياته كانت على سبيل الظروف كما قال هو فى شعره وكما أوردت فى فصل عن فكاهه الشاعر. وذلك لأن الشعراء العذريين يركزون على محاسن الوجه والعلاقات الوجدانية وشاعرنا كذلك بدليل أن المشبه به عنده كثيرًا ما يكون معنويًا أو

معلمًا دينيًا مقدس كالكعبة أو يكون مـأخوذًا من الطبيعة ومعطياتها الرائعة من أزهار وثمار أو جواهر مـختلفة أو يكون المشه به مرتبطًا بالخمـر بحيث يجعل من صفات الخـمر وصفات المحـبوب شيئًـا واحدًا له نفس الصفات الجـمالية كقوله عن ريق المحبوبة:

كالخمر أروى ما يكون الفتى　　من شربها أعطش ما كانا

ومما يؤيد القـول بأنه لم يكن مـيالا لذكـر مفـاتن المرأة الجسـدية بعض المقطوعات العذرية كقوله:

عـدت إلي الـغى بعـد نسكى　　ولذ لـى فـيك طعم مـحكى
أضـحك للكاشـحين جهـرًا　　ولى ضـمـيـر عـليك يبكى
تمـنـعـنـى أن أبـوح نـفـس　　تـأنـف من ذلـة الـتـشكى
عـينى التى أوقـعت فـؤادى　　يا عـين مـاذا لـقـيت منك

وقال:

خلـعت فى حـبـه عـذارى　　وطاب لى العـيش باشـتـهـارى
وذقت طـعم الجـنون فـيـه　　فكـان أحلـى من الـعـقـار
إن أبد فى حـبـه خـضـوعًـا　　فـليس ذل الهـوى بعـار
لو كـان فى الحب لـى اخـتـيـار　　لكـان تركى لـه اخـتـيـارى
من روحـه فـى يدى سـواه　　فـهـو حـقـيق بـأن يدارى
لا تحـمـدونى عـلى احـتـمـالى　　هوانـه واحـمـدوا اصطبـارى

ونجده يتحدث عن الحبيب أن يذكر مواطن الفتنة الجسدية فى قوله:

صـــوره خـالـقـه جـامـعًـا لـكـل شـيء حـــــسـن بـارع

وكل حـسـن من جـمـيع الورى مـخـتـصـر مـن ذلك الجـامع

وقلما تجاوز فى وصفـه للمرأة الوجه ومحاسنه والشعـر الأسود كما فى قوله مقسمًا:

لا ووجـــــه لـك يـبـــــدى صـفـحـة السـيف الصـقـيل

وســـواد الشـــعـــر الأســ ود فـى الخـــد الأســـيل

وعـــــــين لـك لا تـطـ ـرف إلا عـن قـــتـــيل

مـا جـمـيل الصـبـر عن مـثـ ـلك عـندى بـجـمـيل

ويقول:

قـد رضـينا من الغـزال الكـحـيل بغـرور الـعـدات والتـعـليل

وهجـــرنا ســـواه وهـو منـيل وهوينـاه وهـو غـــيـــر منيل

فكثـيـر البـغـيـض غـيـر كـثـيـر وقـلـيل الحـبـيـب غـيـر قـلـيل

إلى قوله:

لا تعـب من هويت بـالبـخـل إنى لا أحب الحـبـيـب غـيـر بخـيل

يجـمل البـخـل بالملاح وإن كـا ن بغـيـر الحـبـيب غـيـر جـمـيل

كل من ســره حـبـيـب جـواد فلـتطب نفـســه بقـرن طـويل

فهو يبدو لنا فى القصيدة متلذذ بغرور العدات والتعليل كما يقول فهو لا يحب الحبيب السهل القياد وهذا داخل فى إطار الحب العذرى

ويذكر الوجه فى قوله:

لو كان كل عليل　　يزداد مثلك حسنا

لكان كل صحيح　　يؤد لو كان مضنى

يا أكمل الناس حسنا　　صل أكمل الناس حزنًا

غنيت عنى ومالى　　وجه به عنك أغنى

(ب) الخمر فى تشبيهات ابن وكيع التنيسى:

تصل جملة التشبيهات فى هذا الغرض عند ابن وكيع إلى حوالى اثنين وثلاثين تشبيهًا من جملة مائتين وتسعة تشبيهات أى حوالى ٢٠٪ من جملة تشبيهاته وما يسترعى الانتباه أنه كان غالبًا ما يمزج وصف الخمر بوصف الطبيعة منها الطبيعة العلوية من شمس، قمر، نجوم، ليل، نهار، الأشياء التى لها تعاقب ودوران من أفلاك، غير ذلك من ذلك قوله:

لألاؤها فى الدجى نهار　　يظلم من نوره النهار

ويقول خلال حديثه عن الشتاء:

فحسن لون الراح فيه لا يرى　　لأنه صار سواء والدجى

ويقول: كأن الحباب المستدير بطوقها　　كواكب در فى سماء عقيق

ويقول متغزلا:

وأبدت لنا البدر من وجهها　　وأبدت لنا الشمس من خمرها

كما كان يمزج وصفه للخمر بوصفه للطبيعة الأرضية من زهور ورياض وعطور وجواهر محتلفة الألوان والأشكال ومعادن نفيسة.

ومن وصفه للخمر الممتزج بوصف الزهور قوله عن الورد:

كأن ما الخمر عليه نفضت صباغها أو هى منه تعتصر

وقوله:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

وكذلك قوله:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها تاج من الحبب

وأحيانًا كان يشبه الخمر بأمر معنوى كقوله:

نحلو وتعذب فى النفوس كأنها كبت العدو ورغم أنف العذل

وقوله:

أرقـهـا الدهر إلـى أن شـاكلت من رقـة شـعـر جـمـيل وعـمـر

كـأنـمـا الأوطار فـيـهـا جـمـعـت فليس فى الـعـيش لجـافـيـهـا وطر

وقوله: **وصفراء من ماء الكروم كأنها فرق عدو أو لقاء صديق**

يصفها أحيانًا بشخص متخيل كقوله:

تقادم عهدها فبدت كشخص عديم الحسن موجود العيان

وأحيانًا يصف الخمر بريق المحبوبة كقوله:

ريق إذا مـا ازددت من شـربه ريـا ثـنـانـى الرى ظـمـآنـا

كـالخـمـر أروى مـا يـكون الفـتى من شـربـهـا أعطش مـا كـانا

وأحيانًا يصفها عند مزجها بالماء أو عند صبها فى الكأس بالكميت أى الفرس كقوله:

طوقها الماء سمط در ليس لمنثوره نظام

كأنها تحته كميت عليه من فضة لجام

ويقول فى بيت آخر: كأنها تحته كميت عليه من فضة عذار

وأحيانًا يشبهها بالقنديل فى ظلام الليل كقوله:

من قهوة عتقت فى دنها حقبا كأنها فى سواد الليل قنديل

ويشبهها أحيانًا أخرى بعروس كرم خيالية كقوله:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

وقوله:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها تاج من الحبب

وكثيرًا ما كان يمزج وصفه للخمر بوصفه لألوان الجواهر المختلفة أو المعادن النفيسة ومن ذلك قوله:

حبابها جسمه لجين وجسمها شخصه نضار

كأنها تحته كميت عليه من فضة عذار

ويقول: وكأنها والكأس ساطعة بها ذوب تحلل فى عقيق جارى

ويقول:

حملت كفه إلى شفتيه كأسه والظلام مرخى فى الإزار

فالتقى لؤلؤًا حباب وثغر وعقيقان من قوم وعقار

وقال: وكأنها فى الكئوس إذ جليت من عسجد رق لونه وصفا

وقال: كأن الحباب المستدير بطوقها كواكب در فى سماء عقيق

وقال: كأنها بأكف القوم إذ جليت ذوب من الذهب الإبريز محلول

وقال:

طوقها الماء سمط در ليس لمثنوره نظام

كأنها تحته كميت عليه من فضة لجام

وقال: وأضحكت الكأس من لؤلؤ حكى لؤلؤ البشر من ثغرها

وقال:

وكأس مثل عين ذلك الديك صرف لها حبب كمنظوم الجمان

وأحيانًا يصف نسيمها بالمسك فى قوله:

فاشرب معتقة كأن نسيمها مسك تضوعه يد العطار

كما كان يصف لونها بلون النار كقوله:

فقم بنا نصطبح صفراء صافية كالنار لكنها نار بلا لهيب

وقوله:

تحكى ضرام النار إلا أنها نهار لعمرك ليس تؤذى المصطلى

(جـ) وصف الطبيعة:

أ - ظواهر الطبيعة العلوية: وتشمل كل ما به تعاقب كالليل والنهار والمشس والقمر والهلال والمجوم والكواكب وفصول السنة والرياح والمطر.

١ - الليل والنهار:

يقول أستاذنا الدكتور عوض الغبارى فى كتابه عن (شعر الطبيعة فى الأدب المصرى فى القرن الرابع الهجرى) "إن شعراء مصر أضفوا على الصباح والليل دلالات شعورية وعاطفية تنم عن تجاوبهم مع مظاهر الطبيعة السماوية ووصل بعضهم إلى درجة من التوحد معها، فلقد صور الليل والصباح فى شعر مصر تصويرًا يدل على الصراع بينها كرمز للصراع الإنسانى عمومًا) وهذا الكلام ينطبق على ابن وكيع حين صور عساكر الليل تولى مدبرة أمام جيش الصباح اللجب ونراه يجد فى طلب الجوزاء كأنه صولجان فضة يدنو من كرة من الذهب فى قوله:

أما ترى الليل قد ولت عساكره ... وأقبل الصبح فى جيش له لجب

وجد فى أثر الجوزاء يطلبها فى ... الجو ركض هلال دائم الطلب

كصولجان لجين فى يدى ملك ... أدناه من كره صيغت من الذهب[1]

ويقول كذلك:

أما ترى الصبح بدا ... فى ثوب ليل خلق

أما ترى جوزاء ... ه كأنها فى الأفق

منطقة من ذهب ... فوق قباء أزرق

٢ - الشمس:

صورها ابن وكيع فى الربيع ضاحكة كما تخيلها كأنها كأس من ذهب فى قوله:

(١) شعر الطبيعة فى الأدب المصرى - د/ عوض الغبارى - الهيئة العامة للكتاب - ص ٧٨.

تضحك فيه الشمس من غير عجب كأنها فى الأفق جام من ذهب

كما تصور أنها نجمة الجوزاء قبل طلوع الفجر فى قوله:

كأنها إذا دنت من نجره جوزاؤه قبل طلوع فجره

ويرى ابن وكيع منظر المشس فى السماء فيتخيلها درة بيضاء فى جيد فتاة من بنات الروم ذات حلة زرقاء عن الشمس:

رومية حلتها زرقاء فى الجيد منها درة بيضاء

٣ - القمر:

ويواصل ابن وكيع وصفه للطبيعة العلوية فيصف بدر الربيع فيجعل المشبه به إما متعلقًا بأداة من أدوات (الكأس) أو بالمرأة.

لبدره فضل على البدور فى حسن إشراق وفرط نور

كجامة البلور فى صفائها أو غرة الحسناء فى نقائها

٤ - الجو والنجوم:

كثيرًا ما نجد عند شاعرنا ابن وكيع تشبيه عوالم الأفلاك بالدر والجواهر فنجده يقول مثلا:

والجو صاف قد حكى بأنجم فيه غرر

جام زجاج أزرق قد نثرت فيه درر

ويصف ابن وكيع النجوم ليلا فى السماء الصافية باللؤلؤ المنثور على بساط بنفسجى:

أما ترى أنجم الدياجى تزهر فى جوفها النقى

تحكى لنا لؤلؤًا نثيرًا على بساط بنفسجى

٥ - الفجر وانسلاخ النهار من الليل:

صور ابن وكيع مشهد ظهور الفجر بقوله:

ضحك الفجر ساخرًا بالظلام حين فلت جيوشه بانهزام

للاح فى الحندس[1] البهيم يحاكى ملك الروم بين أبناء حام

٦ - السحاب والمطر:

صور ابن وكيع السحاب والمطر والرعد والبرق فى قوله:

وسحاب إذا همى الماء فيه ألهب الرعد في حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر إلا ظل يذكى على القلوب حريقًا

وقد عاب ابن الأثير هذا التشبيه لأنه مخالف لما جرت عليه العادة والمألوف من أن (ماء العيون) أى البكاء من شأنه أن يريح الإنسان وليس كما يقول ابن وكيع أنه يؤجج الحريق على القلوب.

- ثم تحدث عن مطر الشتاء فى عقب الريح بقوله:

ثم يليها مطر مداوم كأنه خصم لنا ملازم

وقال عن الندى فى الصيف:

أوله فيه ندى مبغض كأنه على القلوب يقبض

٧ - الفصول الأربعة:

انفرد ابن وكيع بمنظومة تحدث فيها عن الفصول الأربعة واصفًا كل فصل

---

(١) الحندس البهيم: الظلام المطبق.

بالصفات التى يراها فيه ذاكرًا المزايا والعيوب بكل منها مفضلا الربيع على كل الفصول.

أولا الصيف: استخدم فيه ألفاظًا توحى بلفح الهجير وشدة الحرارة فقال:

أما المصيف فاستمع ما فيه ... من فطن يفهم سامعيه
فصل من الدهر إذا قيل حضر ... أذكرنا بحره نار سقر

وقال:

أوله فيه ندى مبغض ... كأنه على القلوب يقبض
يلصق منه الجسم بالثياب ... وتعلق الأذيال بالتراب
حتى تراها مثل منديل الغمر ... فيهن تخطيط كتخطيط الحبر

إلى قوله:

شاربه يكرع فى حميم ... كأنه من ساكنى الجحيم
ينسبه ما يلقى من التهابة ... أن يحمد الله على شرابه

ثانيًا: وقال عن فصل الخريف:

حتى إذا زال أتى الخريف ... فصل بكل سوءه معروف
أهوية تسرع فى كل الجسد ... وهو كطبع الموت يبسًا وبرد

إلى قوله:

تبصره مثل الصبى الأرعن ... فى كثرة التغيير والتلون

ثالثًا: الشتاء:

قال ابن وكيع عن الشتاء بعد انقضاء الخريف:

حتى إذا ما أقبل الشتاء ... جاءتك منه غمة غماء

أقبل منه أسد مزير ... له وعيد وله تحذير

يأتيك في إبانه رياح ... ليس على لاعنها جناح

حراكها ليس إلى سكون ... تضر بالأسماع والعيون

ثم يليها مطر مداوم ... كأنه خصم لنا ملازم

إلى قوله:

هذا وكم فيه من المغارم ... وكثرة الإنفاق للدراهم

في ملبس يدفع شر برده ... يكف منه غرب حده

ملابس تعي الجليد حملا ... كأن ما يحمل منها ثقلا

يحكي بها المنحوف أصحاب السمن ... لكن تراه سمنًا غير حسن

إلى قوله:

واحتجت أن توقد فيه النار ... تطير نحو الحدق الشرارا

تترك مبيض الثياب أرقطا ... تحكي السعيدي لك المنقطا

إلى قوله:

حتى إذا ملت إلى الرقاد ... نمت على فرش من القتاد

إن البراغيث عذاب مزعج ... لكل ما قلب وجلد تنضج

لا يستلذ جنبه المضاجعا ... كأنما أفرشته مباضعا

رابعًا: الربيع:

أسهب ابن وكيع فى وصف الربيع إسهابًا يتناسب مع قدر هذا الفصل عند الشعراء عامة وعند ابن وكيع خاصة فقال:

جاء إلينا زمن الربيع ... فجاء فصل حسن الجميع

لبرده وحره مقدار ... لم يكتنف حدهما الإكثار

عدل فى أوزانه حتى اعتدل ... وحمد التفصيل منه والجمل

نهاره من أحسن النهار ... فى غاية الإشراق والإسفار

تضحك فيه الشمس من غير عجب ... كأنها فى الأفق جام من ذهب

وليله مستلطف النسيم ... مقوم فى أحسن التقويم

لبدره فضل على البدور ... فى حسن إشراق وفرط نور

كجامة البلور فى صفائها ... أو غرة الحسناء فى نقائها

كأنها إذا دنت من نجره ... جوزاؤه قبل طلوع فجره

رومية حلتها زرقاء فى ... الجيد منها درة بيضاء

إلى قوله:

فيه تظل الطير فى ترنم ... حاذقة باللحن لم تعلم

غناؤها ذو عجمة لا يفهمه ... سامعه وهو على ذا بغرمه

من كل دبسى له رنين ... وكل قمرى له حنين

فى قرطق أعجل أن يوردوا ... خاط له الخياط طوقًا أسودًا

تبصره منه على الحيزوم ... كمثل عقد سبج منظوم

فيه ضروب للنبات الغض ... يحكى لباس الجند يوم العرض
من نرجس أبيض كالثغور ... كأنه مخانق الكافور
وروضة تزهر من بنفسج ... كأنها أرض من الفيروزج
قد لبست غلالة زرقاء ... فكايدت بلونها السماء
تبصرها كشاكل أولادها ... قد لبست من حزن حدادها
يضحك فيها زهر الشقيق ... كأنه مداهن العقيق
مضمنات قطعا من السبج ... فأشرقت بين احمرار ودعج
كأنما المحمر فى المسود ... منه إذا لاح عيون الرمد

وهذا التشبيه الآخر لا يقبله النقاد المحدثون، فتشبيه الأزهار بالعيون المريضة أمر لا يقره الذوق، وتنفر منه الطباع السوية.

وقال:

وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا ... يحكى كرات ظوهرت كيمختا
وارم بعينيك إلى البهار ... فإنه من أحسن الأنوار
كأنه مداهن من عسجد ... قد سمرت فى قضب الزبرجد

ويتضح مما سبق أنه أسهب أو أطنب فى وصف الربيع أكثر من باقى الفصول فضلا عن مدحه للربيع دون باقى الفصول وبذلك ينفرد ابن وكيع بهذه المنظومة بين شعراء مصر الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى.

(د) وصف الرياض والبساتين:

اهتم ابن وكيع بوصف الحدائق أو البساتين اهتمامًا كبيرًا، فقد كانت

الرياض مرتعًا خصبًا للشاعر طلبًا للمتعة واللهو ومجالس الشراب يفر إليها من همومه ويجد فيها راحته النفسية ومصدر إلهامه الشعرى.

يقول الدكتور عوض الغبارى فى كتابه (شعر الطبيعة): كان خروج المصريين إلى الرياض فى القرن الرابع أمرًا مألوفًا يمثل حبهم وإقبالهم عليها مما يعكس نضج ذوقهم وترف حياتهم ومن هذا المنطق يصور ابن وكيع الرياض تصويراً يبين ولعه بألوان الزهور وأشكالها المختلفة وتقترن صورة الروض بالوشى المزخرف والحلة الجميلة الألوان فيقول مثلا:

قم فاسقنى صافية تسلب قلبى فكره
فى روضة كأنها خريدة فى حبره
كأن آذريونها أسوده وأحمره
سحيق مسك مودع فى خرق معصفره[1]

ويقول فى موضع آخر:

وروضة تزهر من بنفسج كأنها أرض من الفيروزج
قد لبست غلالة زرقاء فكايدت بلونها السماء
تبصرها كشاكل أولادها قد لبست من حزن حدادها

ويرى الشاعر الروض موشى وشى يمتع الأبصار فالأرض فى زى عروس يبكى المطر من عشقها وهذا الثوب الموشى كان مطويًا حتى جاء الربيع فنشره، يقول ابن وكيع فى ذلك:

(١) شعر الطبيعة فى الأدب المصرى - د/ عوض الغبارى - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣ - ص ١١.

أسفر عن بهجته الدهر الأغر واتسم الروض لنا عن الزهر
أبدى لنا فصل الربيع منظرًا بمثله تفتن ألباب البشر
وشيًا ولكن حاكه صانعه لا لابتذال اللبس لكن للنظر
عاينه طرف السماء فانثنى عشقًا له يبكى بأجفان المطر
فالأرض فى زى عروس فوقها من أدمع القطر نثار من درر
وشى طواه فى الثرى صوانه حتى إذا مل من الطى نشر

ولم يعجب النقاد بقوله (يبكى بأجفان المطر) إذ ليس للمطر أجفان كما ليس للسماء طرف.

وفى موضع آخر يقول:

هذى الرياض كأنهن عرائس يختلن بين تمايل وتبختر

وفى موضع آخر قال:

ألست ترى وشى الربيع المنمنا وما رصع الربعى فيه ونظما
فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدر فى التشبيه أيهما السما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه وأنوارها تحكى لعينيك أنجما

(هـ) وصف الأزهار بأشكالها وألوانها المختلفة:

تأثر ابن وكيع بأستاذه ابن المعز (الخليفة العباسى) فى وصف الأزهار وتشبيهها بالجواهر وأدوات الزينة والمعادن النفيسة ويقول أستاذنا الدكتور حسين نصار فى ذلك "إن ابن وكيع يلتقى فى كثير من صوره بابن المعتز حتى عده بعض الباحثين من أتباعه أو مدرسته ويخيل إلى أن هذه الصور خاصة

ووصف الزهريات عامة غلبا فى أواخر القرن الثالث وفى القرن الرابع الهجرى على الشعر العربى كله وفى جميع مواطنه[1]، وتتجلى براعة ابن وكيع فى الوصف خاصة وصف الأزهار فلا تكاد تقع عينه على منظر ما حتى يستدعى من مخيلته مناظر أخرى كثيرة يقول ابن وكيع فى وصف نور الكتان:

ذوائب كتان تمايل فى الضحى على خضر أغصان من الرى ميد

كأن اصفرار الزهر فوق اخضرارها مداهن تبر ركبت فى زبرجد

ويقول عن زهر الجلنار:

وجلنار بهى ضرامة يتوقد

بدا لنا فى غصون خضر من الرى ميد

يحكى فصوص عقيق فى قسبة من زبرجد

ويصف ابن وكيع (الآذريون) وهو (زهر أصفر لا ريح له البتة وهو صنف من الأقحوان ومنه ما نواره أحمر، وقال ابن البيطار فى جامعة: أنه نوار ذهبى، فى وسطه رأس صغير أسود، واسمه بالفارسية آركون ومعناه لون النار)[2]. يقول ابن وكيع:

قم فاسقنى صافية تسلب قلبى فكره

فى روضة كأنها خريدة فى حبره

كأن آذريونها أسوده وأحمره

سحيق مسك مودع فى خرق معصفرة

---

(١) ابن وكيع التنيسى [شاعر الزهر والخمر] للدكتور حسين نصار ص ١٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧.

ويقول ابن وكيع:

انظر إلى زهر الربيع وما جلت ... فيه عليك طرائف الأنوار

أبدت لنا الأمطار فيه بدائعا ... شهدت بحكمة منزل الأمطار

ما شئت للأزهار فى صحرائه ... من درهم بهج ومن دينار

وجواهر لولا تغير حسنها ... جلت عن الأثمان والأخطار

من أبيض يقق وأصفر فاقع ... مثل الشموس قرن بالأقمار

ويصور ابن وكيع زهر الآس بأسلوب طريف فيقول:

خليلى ما للآس يعبق نشره ... إذا هب أنفاس الرياح العواطر

حكى لونه أصداغ ريم معذر ... وصورته آذان خيل نوافر

ويصف ابن وكيع الورد فيشبهه بوجنة كاعب فيما يسمى بالتشبيه المقلوب

ورد كوجنة كاعب قد موزحت ... فتراجعت خجلى بفرط تحير

كما وصف الباقلاء بقوله:

وكأن زهر الباقلاء دراهم ... قد ضمخت أوساطها بالغدير

وكأنه من فوق خضر غصونه ... يرنو بمقلة أقبل أو أحور

كما يصف النرجس بقوله:

والنرجس الريان بين رياضه ... يرنو بعين الباهت المتحير

يصف الجلنار بقوله:

والجلنار يريك فى أثوابه ... نوعين بين مزعفر ومعصفر

ويصف النرجس والبنفسج فى الربيع بقوله:

من نرجس أبيض كالثغور ... كأنه مخانق الكافور

وروضة تزهر من بنفسج ... كأنها أرض من الفيروزج

قد لبست غلالة زرقاء ... فكابدت بلونها السماء

يضحك فيها زهر الشقيق ... كأنه مداهن العقيق

مضمنات قطعا من السبج ... فاشرقت بين احمرار ودعج

كأن ما الخمر فى المسود ... منه إذا لاح عيون الرمد

إلى قوله:

وارم بعينيك إلى البهار ... فإنه من أحسن الأنوار

كأنه مداهن من عسجد ... قد سمرت فى قضب الزبرجد

ويصور الورد فى تشبيه مقلوب آخر بقوله:

أما ترى الورد كخدى كاعب ... راودها فامتنعت منه ذكر

كأن ما الخمر عليه نفضت ... صباغها أو هى منه تعتصر

ويستمر ابن وكيع فى سرد طريف لقصة الورد وباقى الأزهار فيقول:

أخجله النرجس إذ جادلة ... فاحمر من فرط حياء وخفر

قال له العين وما الخد لها ... موازنًا فى عظم قدر وخطر

ماذا الذى يرجى لخد بهيج ... مستحسن صاحبه أعمى البصر

فاحمر من حجته إذ ظهرت ... والحق لا يدفع يومًا إن ظهر

ويستمر ابن وكيع فى وصف مشاهدته من الأزهار فيقول:

وانظر إلى المنثور فى ميدانه ... يرنو إلى الناظر من حيث نظر

كجواهر مختلف ألوانه ... أسلمه سلك نظام فانتثر

كأن نور الباقلاء إذ بدا ... لناظريه أعين فيها حور

كمثل ألحاظ اليعافير إذا ... روعها من قانص فرط الحذر

كأنه مداهن من فضة ... أوساطها بها من المسك أثر

كأنها سوالف من خرد ... قد زينت بياضها سود الطرر

ويصف ابن وكيع (الحماحم) وهو زهر نبطى عريض الورق فيقول:

هذا الحماحم زهر ... فيه حياة النفوس

كأنه حين يبدو ... برادة الآبنوس

ويصف ابن وكيع زهر الباقلاء فيتصوره كأنه عين غادة كحيلة الطرف بقوله:

وأتاك زهر الباقلاء كأنه يرنو ... إليك بطرف أغيد أكحل

والورد يخجل كل نور طالع ... فتراه منتقبًا بحمرة مخجل

وكأنما الدنيا عروس أقبلت ... فى كل أنواع الملابس تنجلى

ويصف ابن وكيع الربيع فيما بثه من خضره وأنوار مما جعله يرى أنه لم يعد يعرف الأرض من السماء فالأرض ذات أنوار والسماء ذات نجوم فيقول:

ألست ترى وشى الربيع المنمنما ... وما رصع الربعى فيه ونظما

قد حكت الأرض السماء بنورها ... فلم أدر فى التشبيه أيهما السما

فخضرتها كالجو فى حسن لونه وأنوارها تحكى لعينيك أنجما

فمن نرجس لما رأى حسن نفسه تداخله عجب بها فتبسما

وأبدى على الورد الجنى تطاولا فأظهر غيظ الورد فى خده دما

وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلا وقدما

وظل لفرط الحزن يلطم خده فأظهر فيه اللطم جمراً مضرما

ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كل أنوار الرياض تقسما

تجلبت من زرق اليواقيت حلة فأغرب فى الملبوس منه وأعلما

وألوان منثور تخالف شكلها فظل بها شكل الربيع متمما

جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيت بها كل الملوك مختما

وفى موضع آخر يصور زهر الباقلاء تصويراً آخر، فقد كان مهتمًا به أكثر من غيره فيقول:

كأن أوراق زهر الباقلاء بهية خواتم من لجين فصوصها حبشية

ولم يعجب النقاد بهذا التشبيه ورأوا أنه يقلد ابن المعتز تقليداً شكليًا لحاجة نفسية وهو تشبيه سطحى يرى من زهور بيضاء أوساطها داكنة بخواتم فضية فصوصها حبشية (أى سوداء)، وإضافة حرف الجر للباقلاء أفسد الاتزان المعنوى للبيت وكذلك لفظه (حبشية)[1].

ويلحق بوصف الرياض والبساتين وصف ابن وكيع للأشجار والأغصان

(١) رسالة الماجستير للباحث/ محمود الحنفى ذهنى. [ابن وكيع التنيسى شاعراً وناقداً] ص ١٢٠.

والثمار وصفًا دقيقًا في إطار الصور العامة التى تصور الربيع وأثره على الرياض والأرض بصفة عامة.

يقول أستاذنا الدكتور/ حسين نصار (وإن الباحث يستطيع أن يقول أن ابن وكيع مرهف الحس مواطن الجمال الطبيعى فى الربيع، دقيق الملاحظة، يستهويه المنظر العام فيرسمه، يسترعى أنظاره دقائقه وتفاصيله فيفرد كلا منها بصورة خاصة فتجمع من هذه الصورة العامة والخاصة معرض كامل للربيع، لا يكاد ينقصه شيء، وهو تصوير حى بالألوان يكاد الإنسان يعيش فيه)[1].

ولنقف عند بعض المشاهد التى تصور الأشجار ومنها قوله فى النخيل:

أما ترى النخل طارحًا بلحًا ... جاء بشيرًا بدولة الرطب

كأنه والعيون تنظره ... إذا بدا زهره على القضب

مكاحل من زمرد خرطت ... مقمعات الرءوس بالذهب

ويقول:

والسرو تثنيه الرياح لواعبًا ... من فوق جدول مائة المتفجر

كالجند فى خضر الملابس حاولوا ... أمرًا فبين مقلص ومشمر

وقال:

وانظر إلى النارنج فى بهجته ... يلوح فى أفنان هاتيك الشجر

مثل دنانير نضار أحمر ... أو كعقيق خرطت منه أكر

---

(١) ابن وكيع التنيسى شاعر الزهر والخمر - د/ حسين نصار - ص ١٨.

وقال عن المشمش وأشجاره:

بدا مشمش الأشجار فيها كأنه ... يلوح على خضر الغصون الموائل

قباب بمخضر الرياحين غشيت ... وقد زينت من عسجد بجلاجل

وقال:

خلع الغمام على اخضرار سمائه ... خلعًا فبين ممسك ومصندل

وعلا على الأشجار قطر سمائها ... فبدت لعين الناظر المتأمل

تحكى قباب زبرجد قد كللت ... بمنظم من لؤلؤ ومفصل

ويقول ابن وكيع:

قم فاسقنى والخليج مضطرب ... والريح تثنى ذوائب القضب

كأنها والرياح تعطفها ... صف قنا سندسية العذب

ويتداخل وصف الأغصان بالطبع مع وصف الأشجار فنجد ابن وكيع يقول عند حديثه عن النخل والبلح:

كأنه والعيون تنظره ... إذا بدا زهره على القضب

والقضب هى سعف النخيل. ويقول الدكتور حسين نصار فى مقدمة كتابه (ويبدو أن لفظه القضب كانت شائعة الاستعمال فى ذلك الحين)

وهذا اللفظ نجده كذلك فى المقطوعة التالية:

قم فاسقنى والخليج مضطرب ... والريح تثنى ذوائب القضب

كأنها والرياح تعطفها ... صف قنا سندسية العذب

وكما يتداخل وصف الأشجار مع وصف الأغصان يتداخل وصفهما معًا مع وصف الثمار ومن ذلك قول ابن وكيع:

بدا مشمش الأشجار يذكو شهابه على حسن أغصان من الدوح ميد
حكى وحكت أغصانه فى اخضرارها جلاجل تبر فى قباب زبرجد

وعن الكتان يقول:

ذوائب كتان تمايل فى الضحى على خضر أغصان من الرى ميد
كأن اصفرار الزهر فوق اخضرارها مداهن تبر ركبت فى زبرجد

ويتداخل وصف الأزهار مع وصف الأغصان فى قوله:

وجلنار بهى ضرامه يتوقد
بدا لنا فى غصون خضر من الرى ميد
يحكى فصوص عقيق فى قبة من زبرجد

ويقول ابن وكيع:

أخذت من كف الغزال الأحور عصنًا من البسباس ممطرًا طرى
كأنه فى عين كل مبصر مذبة من الحرير الأخضر

ويقول عن السرو:

والسرو تثنيه الرياح لواعبًا من فوق جدول مائة المتفجر
كالجند فى خضر الملابس حاولوا أمرًا فبين مقلص ومشمر

إلى قوله:

فكأنما النارنج فى أغصانه أكر خرطن من العقيق الأحمر

وكأن زهر الباقلاء دراهم قد ضمخت أوساطها بالعنبر

ويقول ابن وكيع: إن الربيع ظرف زمانى لكل هذه المناظر فى قوله:

هذا وفيه للرياض منظر يفشى الثرى من سرها ما يضمر

سر نبات حسنه إعلائه إذا سواه زانه كتمانه

فيه ضروب للنبات الغض يحكى لباس الجند يوم العرض

إلى قوله:

وارم بعينيك إلى البهار فإنه من أحسن الأنوار

كأنه مداهن من عسجد قد سمرت فى قضب الزبرجد

وقال:

وانظر إلى النارنج فى بهجته يلوح فى أفنان هاتيك الشجر

مثل دنانير نضار أحمر أو كعقيق خرطت منه أكر

وقال عن أغصان المشمش وثماره:

بدا مشمش الأشجار فيها كأنه يلوح على خضر الغصون الموائل

قباب بمخضر الرياحين غشيت وقد زينت من عسجد بجلاجل

ويتداخل وصف الثمار بالطبع مع وصف الأشجار والأغصان وقلما نجد وصف الثمار أو الأغصان أو الأشجار فى حالة منفردة لأن السياق خاصة فى الربيع يهتم بذلك ويقتضيه ومن ذلك قول ابن وكيع:

أمـا ترى الـنخل طارحًـا بـلحًـا جـاء بشـيـرًا بدولة الـرطب

كـأنه والعـيـون تنظره إذا بدا زهره على القـضـب

مكـاحل من زمـرد خـرطت مـقـمـعـات الرءوس بـالذهب

فذكر البلح وسعف النخيل والنخيل، لكنه أحيانًا يذكر ثمارًا معينة دون ذكر لأشجارها أو غصونها كقوله عن الزيتون:

انـظر إلـى زيتـونـنـا فـيـه شـفـاء المهج

مـخـضـره زبرجـد مـسـودة من سـبج

وقال: كأن عناقيد الكروم وظلها كواكب در فى سماء زبرجد

وقال:

بدا مشمش الأشجـار يذكو شهابه على حسن أغصـان من الدوح ميد

حكى وحكت أغصانه فى اخضرارها جـلاجل تبر فـى قـبـاب زبرجـد

وقال عن طلع النخل:

وطلـع هتـكنـا عنه أسـتـاره من بعـد مـا كـان مـسـتـورًا

كـأنـه لما بدا ضـاحكًـا فى العـين تشـبـيـهًـا وتقـديرًا

درج من الـصنـدل قـد أودعت فـيـه يد العـطار كـافـورا

ومن الثمار التى ذكرها ابن وكيع بصورة مجردة دون وصف لشجرتها أو أغصانها الخشخاش فى قوله:

وخـشـخـاش كـأنا منه نفـرى قـمـيص زبرجـد عن جـسم در

كـأقـداح من البـلور صـيـغت بأغـشـيـة من الديبـاج خـضـر

(ولم يعجب على بن ظافر الأزدى بهذا التشبيه فى كتابه غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات).

ولعل ذلك يعود إلى كلمة (نفرى) أى نقطع.

وقال: فكأنما النارنج فى أغصانه أكر خرطن من العقيق الأحمر

وقال:

وكأنما الأترنج أكؤوس عسجد ولها مقابض من حرير أخضر[1]

وقال:

أما ترى أترجه[2] ما أحسنه يختال فى غلائل مبينه

وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا يحكى كرات ظوهرت[3] كيمختا[4]

وقال:

وانظر إلى النارنج فى بهجته يلوح فى أفنان هاتيك الشجر

مثل دنانير نصار أحمر أو كعقيق خرطت منه أكثر

وقال:

بدا مشمش الأشجار فيها كأنه يلوح على خضر الغصون المواتل

قباب بمخضر الرياحين غشيت وقد زينت من عسجد بجلاجل

---

(١) الأترنج/ الليمون أو هو نوع من الليمون.

(٢) الأترج/ هو الليمون.

(٣) ظوهرت/ أى جعل لها غشاء ظاهر

(٤) كيمختا: قال د/ حسين نصار لم أجده فى المعاجم وهى لفظة فارسية بمعنى الكميت أى أحمر مائل للسواد - ابن وكيع التنيسى ص ٧٣، ولكنى وجدتها فى معجم فارسى عربى للدكتور محمد حسين عبد المنعم بمعنى: الجلد الذى يدبغ.

وقال عن البصل الأخضر:

فاعمد إلى مدور من البصل فإنه أكبر أعوان العمل
يحكى لعينيك اخضرار قشره إذا رماه ناظر بفكره
غلائلا خضراً على جسوم بيض رطاب من بنات الروم

و - وصف الطير

الطيور من عناصر الطبيعة المتحركة، وقد كان وصف ابن وكيع للطيور أكثر من وصفه للحيوان وذلك لأنه كان معجبًا بألوانها المختلفة وأشكالها المتباينة وأصواتها الجميلة التى تذكره بمعمالقة الغناء من أمثال معبد مغنى الحجاز فى العصر الأموى، ومن المعروف أن بيئة تنيس مشهورة بكثرة طيورها ولذلك قال عنها ياقوت فى معجم البلدان حينما تحدث عن تاريخ تنيس ما نصه (ولتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون فى موضع آخر وهى مائة ونيف وثلاثون صنفًا وهى: السلوى، النفح المملوح، النصطفير، الزرزور. . . ، الدبسى. . . القمرى، الفاختة، النواح. . . .

ويصل إلى تنيس طير كثير لا يعرف اسمه صغار وكبار "ولذلك يقول ابن وكيع عن الطيور فى الربيع:

ناحت لنا الأطيار فيه فأرهجت عرس السرور ومأتم الأطيار

وغالبًا ما كان يربط بين الربيع والطيور فهو القائل:

فيه تظل الطير فى ترنم حاذقة باللحن لم تعلم
غناؤها ذو عجمة لا يفهمه سامعه وهو على ذا يغرمه
من كل دبسى له رنين وكل قمرى له حنين

وقال كذلك:

فى قـــرطق[1] أعـجـل أن يوردا خـــاط له الخيـــاط طوقًـا أســودا

تبـصـــره منه على الحـيـــزوم[2] كـــمـثـل عـــقـــد ســـبج مـنظوم

وقال:

غرد الطير فنيه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس

وقال عن الطيور فى يوم ربيعى من قصيدة مطلعها:

وانظر إلـى الأطيـــار فى أرجـــائه إذا دعـــا الشاكـل منهـــا وصـفـــر

كـــأنهـــا تصفـــر فى ريـاضـهـــا سـرب قـيان فـوق بسط من حبـر

إلى قوله:

يوم أتـاك بوجـــهـــــه المتـــهـلل ناهيـك من يوم أغـــر مـــحـــجل

خلع الغمـام على اخضرار سمائه خلعًـا فـبـيـن ممسك ومـصندل

وتغـــردت أطيـــاره فـــحكـت لنا نغـمـات مـعبـد فى الثـقـيل الأول

من كل صـافية الـصفيـر إذا دعت أغنتك عن صـنج هـناك وجلـجل

وكـــأنما الدنيـــا عـــروس أقـــبلت فى كـل أنواع الملابس تتـــجـلى

ووصف ابن وكيع الكأس المملوء خمرًا بأنها مثل عين الديك وهو تشبيه شائع مطروق فقال:

وكأس مثل عين الديك صرف لها حبب كمنظوم الجمان

---

(١) القرطق: ضرب من الثياب

(٢) الحيزوم: الصدر.

وذكره لعين الديك هنا ورد فى المشبه به فالوصف هنا للكأس وليس لعين الديك.

ز - وصف الحيوانات:

لم يرد ذكر للحيوانات فى التشبيه وإنما ورد ذلك فى المشبه به إلا فى وصفه للعقرب والحية والبراغيث عند ذكره لفصلى الصيف والشتاء ففى حديثه عن فصل الصيف قال:

حتى إذا عنا انقضى نهاره ... وأرخيت من ليله أستاره

تحركت فى جنحه دواهى ... سارية وأنت عنها ساهى

من عقرب يسعى كسعى اللص ... سلاحها فى إبر كالشص

وحية تنفث سما قاتلا ... تزود الملدوغ حتفًا عاجلا

تبصر ما فى جلدها من الرقش ... كوجنة مصفرة فيها نمش

لو نهشت بالناب منها الخضرا ... لبترت منه الحياة بترا

وفى حديثه عن فصل الشتاء قال:

حتى إذا ملت إلى الرقاد ... نمت على فرش من القتاد

إن البراغيث عذاب مزعج ... لكل ما قلب وجلد تنضج

لا يستلذ جنبه المضاجعا ... كأنما أفرشته مباضعا

أما تشبيهاته التى يورد فيها ذكر بعض الحيوانات فى المشبه به فلا تعد وصفًا للحيوان قوله مثلا:

لئيم لا يزال يلم وفرًا ... لوارثه فينفح عن حماه

ككلب الصيد يمسك وهو طاو ... فريسته ليأكلها سواه

فهـو هنا يشبه اللئيم بكلـب الصيد، وحينمـا يشبه نور الباقـلاء بألحان اليعافير الحذرة (أى الغزلان) بقوله:

كمثل ألحاظ اليعافير إذا روعها من قانص فرط الحذر

فلا يمكن أن ندخل ذلك فى وصف الحيوانات لأنه وصف لنور الباقلاء

وينطبق ذلك على كل تشبيه يرد فيه ذكـر لأحد الحيوانات أو متعلق بها فى المشبه به دون المشبه فهو يصف زهر الآس بقوله:

حكى لونه أصداغ ريم معذر وصورته آذان خيل نواقير

ح - وصف الغدران والخلجان والمياه وما يتعلق بها

وصف ابن وكيع الغدير بقوله:

غـدير يجـعـد[1] أمـواهه هبـوب الرياح ومـر الصبـا

إذا الشمس من فوقه أشـرقت توهمتـه جـوشنا[2] مـذهبـا

ووصف ابن وكيع الخليج بقوله:

قم فاسـقنى والخليج مـضطرب والريـح تثنى ذوائب القـضب

كـأنهـا والـرياح تعطفـهـا صف قـنا سندسـيـة العـذب

وفى حديثه عن فصل الشتاء قال:

يأتيك فى إبانه رياح ليس على لاعنها جناح

إلى قوله:

---

(١) الجعد: عكس الناعم الأملس.

(٢) الجوشن: هو الدرع

ثم يليها مطر مداوم　　كأنه خصم لنا ملازم

وقال عن الرعد والمطر والبرق:

وسحاب إذا همى الماء فيه　　ألهب الرعد فى حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر إلا　　ظل يذكى على القلوب حريقا

وهذا التشبيه لم يعجب به النقاد باعتبار أن الإنسان حينما يكون مهمومًا أو محزونًا فيبكى فإن ذلك يريحه ولا يشغل فى قلبه حريقًا كما يقول ابن وكيع أى أن ذلك مخالف للواقع.

وقال:

خلع الغمام على اخضرار سمائه　　خلعا فبين ممسك ومصندل

وعلا على الأشجار قطر سمائها　　فبدت لعين الناظر المتأمل

تحكى قباب زبرجد قد كللت　　بمنظم من لؤلؤ ومفصل

وحكى بياض الطل فى كافوره　　وجه الخريدة فى الخمار الصندل

ط - المديح:

لم يشغل ابن وكيع نفسه بالمديح لأنه كما قال د/ حسين نصار، د. محمود الحنفى كان ميسور الحال ولم أجد فى المديح مقطوعة من ثلاثة أبيات يقول فيها عن صديق:

صديق لى له أدب　　صداقة مثله نسب

رعى لى فوق ما يرعى　　وأوجب فوق ما يجب

فلو نقدت خلائقه　　تبهرج عندها الذهب[1]

(١) تبهرج الذهب: أى صار بهرجًا لا قيمة له.

وفى هذه المقطوعة تشبيه واحد فى البيت الأول وبذلك يكون غرض المدح عند الشاعر ١ : ٢٠٩ من جملة تشبيهات الشاعر بنسبة ٤٧.٨٪.

ى - الهجاء:

قال ابن وكيع يهجو (محدث نعمة) وهى مقطوعة من ستة أبيات ليس فيها تشبيهات:

يا جامعًا زهو الملو ... ك ولؤم أخلاق التجار
ارجع إلى الفقر القديـ ... ـم فقد فسدت على اليسار
وخطرت فى سكر الغنى ... وأمنت عاقبة الخمار
أبديت وجهًا للعفا ... ة مقنعًا بقناع عار
لو أنه لقى الحجا ... ر الصم أثر فى الحجار
أو كان ترس محارب ... لارتد عنه ذو الفقار

وقال يهجو إناسًا:

أناس إذا غابوا رمتك سهامهم ... وخصك منهم فى الحضور والتملق
غرور لقاء قد تبينت زوره ... فأصبح عندى بائرًا ليس ينفق
وإن امرأً نالت يداه كفاية ... ولازم فيهم بيته لموفق

وقال عن شخص يتهمه بالنميمة:

ينم بسر مسترعيه لؤمًا ... كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول[1] على مشيب ... ومن صافى الزجاج على عقار

(١) النصول: أى زوال الخضاب أو الحناء.

وقال فى نحوى شاعر:

عليك بالنحو لا تعرض لصنعتنا ... فإن شعرك عندى أشهر الشهر

لو كان بالنحو قول الشعر مكتسبًا ... كان الخليل به أحظى من البشر

وقال فى ثقيل:

ما السقم فى سفر والدين مع عدم ... يومًا بأثقل منه حين يلقانى

ما لى عليه معين حين أبصره ... غير الصدود وتغميض لأجفان

وقال فى لئيم:

لئيم لا يزال يلم وفرًا ... لوارثه فينفح عن حماه

ككلب الصيد يمسك وهو طاو ... فريسته ليأكلها سواه

وهذه المقطوعات الشعرية فى الهجار عند الشاعر ليس فيها إلا تشبيهان اثنان أى ٢ ÷ ٢٠٩ من جملة تشبيهات ابن وكيع التنيسى بنسبة ٩٥,٦٪ وهى أقل النسب بعد غرض المدح، وبذلك يكون الهجاء عنده ضعف المديح تمامًا.